

ذكرى

المطران إيلاريون كبوجي... رائد «لاهوت المقاومة»



أسس أول خلية فدائيّة في القدس. جامعاً من عباءة الكهنوتية درعاً لمقاومة سلطات الاحتلال. ضار على طريقه المسيح الذي استعمل العنف لطرد لصوص الهيكل. من خلاله سيرة نضاله. أكد المطران الراحل ان حربنا مع «إسرائيل» هي حرب وجود لا حدود. هو لأنها صراعٌ على الأرض. وهذه الأرض إقائنا وأقاليمهم

سركيس ابوزيد*

في الذكرى الثانية لغيابه، نستذكر المطران إيلاريون كبوجي (1922-2017)، علماً نستخلص الدروس والعبر. عندما احتلت «إسرائيل» الضفة الغربية في الخامس من حزيران (يونيو) 1967، وشاهد أمام عينيه الجثث والعظم. تحوّل مطران المحبة والسلام إلى ثائر ضد الاستبداد، فأسس مطران القدس إيلاريون كبوجي أول خلية فدائية في المدينة المقدسة، جامعاً من عباءته الكهنوتية درعاً لمقاومة سلطات الاحتلال. وتحوّل راعي الإبرشية إلى همزة وصل سرّية بين المقاومين في الداخل وقيادتهم في الخارج، فراح ينقل من الخارج كل ما يحتاج إليه الداخل. منتشراً بإيمانه، ونشاطه، وحصانته الدبلوماسية، واعتبراً أنه لا يستطيع أن يكون محايداً وهو يرى شعبه يُقتل ويُقتل. فقرر مقاومتهم بكل ما أوتي من قدرة، ويشيئ الوسايل، فسار على طريق المسيح الذي استعمل العنف لطرد لصوص الهيكل.

وطول سنت سنوات استمرت رحلاته الموكبية بين لبنان وفلسطين غير عابى بالخطر على حياته، متخذياً الإسرائيليين إلى أن اعتقلوه في 18 آب (أغسطس) 1974، وضبطوا كمية من الأسلحة والمتفجرات في سيارته. وبعد استجواب طويل، ومحاكمة قضائية، حاكمه الإسرائيليون كمجرم لكنه رفض عدالتهم، ونظر إليهم كما نظر المسح إلى لصوص الهيكل. وخلال محاكمته، رفع صوته عالياً في وجه القضاة، متخذياً رافضاً عدالة المعتصّل له، معتبراً أن ما قام به فعل دفاع مشروع عن الأرض المقدسة، طالباً عدالة السماء، صارخاً: «إن الله وحده هو الديان الذي أقبل دينونته». خُكم على مطران القدس بالسجن مدة 12 سنة أمضى منها ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً خلف القضبان، باق خلالها جسر السجن الطاغية، وأضرب عن الطعام أكثر من مئة، فكان يلفظ أنفاسه إلى أرض زرزانة تبتّ، لولا تدخل البابا بولس السادس مباشرة في قضيتة، وتفاوض الفاتيكان مع سلطات الاحتلال الإسرائيلية لإطلاق سراحه، وانشرطت أن يكون منشفه بعيداً عن أرض فلسطين، وأن لا تسمح له أن يرجعها، وهناك التقينا مع المطران أنا وزميلي أنطوان فرنسيس، حيث تم تسجيل ذكريات المطران، خلال أسبوعين من اللقاءات اليومية المتواصلة حيث بلغ عدد الأشرطة المسجلة عشرة، روى فيها مذكراته في 6 تشرين الثاني (نوفمبر) عام

1977، خرج المطران إيلاريون كبوجي من سجن العدو الإسرائيلي، وانتقل سيادته ليعيش في مدينة روما بعدما امضى أكثر من سنة في أميركا اللاتينية. كان في قرارة نفسه، يتعمّن العودة إلى المدينة المقدسة، ويتوق إلى أن يعيش ويموت في أرضه المشرقية التي ولّد فيها، وكل ما يتعلق بفترة سجنني في هذه الأجيال الآتية، إيماناً منا بأن قضية فلسطين هي قضيتنا جميعاً... ونمدينة القدس سوف تبقى أيد الدهر عاصمة فلسطين ومركزاً روحياً للإنسانية، خاصة في هذه الأيام حيث تحاول «إسرائيل» تهويدها. فقد كان المطران يُعْمَل من خلال سيرته ونضاله مجموعة قيم أبرزها تجسيد «لاهوت المقاومة»، وهو نهج نضال سبق لاهوت التحرير والمواقف الباليوية المتطورة والمتحرّزة من قيود التقليد والتحالف مع الاستبداد والسلطة. وقد تركز هذا النهج بنداء «وقف

بُتوق حياته ونضاله في داخل السجن. ثانياً: لأن المطران إيلاريون كبوجي بات رمزاً لتمسك الفلسطينيين بالمشرقين بالمسألة الفلسطينية، وبمدينة القدس بالذات التي حملها في قلبه وضميره ووجدانه، وسوف يبقى مطرانها في الحضور والغياب. ثالثاً: نظراً إلى ما تتضمنه المذكرات من معلومات وآراء قيّمة، وغير معروفة، لا بد من أن ننقلها إلى الأجيال الآتية، إيماناً منا بأن قضية فلسطين هي قضيتنا جميعاً... ومدينة القدس سوف تبقى أيد الدهر عاصمة فلسطين ومركزاً روحياً للإنسانية، خاصة في هذه الأيام حيث تحاول «إسرائيل» تهويدها. فقد كان المطران يُعْمَل من خلال سيرته ونضاله مجموعة قيم أبرزها تجسيد «لاهوت المقاومة»، وهو نهج نضال سبق لاهوت التحرير والمواقف الباليوية المتطورة والمتحرّزة من قيود التقليد والتحالف مع الاستبداد والسلطة. وقد تركز هذا النهج بنداء «وقف

حق» التي سجلها ممثلون عن الطوائف المسيحية في فلسطين ضد الاحتلال ومع شرعية المقاومة. أعطى المطران كبوجي بنضاله من أجل المسألة الفلسطينية، بُعداً قومياً وإنسانياً: - فقد كان رمزاً للحياة المشتركة، بقدر ما هو مطران مسيحي، فقد كان مسلماً «لرب العالمين» بالتقوى والتسامح، وكان مع الحوار المسيحي الإسلامي ومع القضايا الإسلامية المحقّة. - كان عربياً بكل ما للكلمة من معنى. ورغم كونه من مدينة حلب السورية، فقد كان يعتبر نفسه فلسطينياً بقدر ما كان سوريا ولبنانياً، وعروبياً بشكل عام مدافعاً عن القضايا العربية المحقّة. وهكذا كان حاسماً في مسألة هويته المشرقية العربية في زمن ما زال البعض يطرح سؤال الهوية ويشكك في هويته لأرضه وشعبه. - كان يؤمن بالإنسان أولاً بغض النظر عن طائفته وملتقه. كان رجلاً عملياً من خلال تجسيد كلامه فعلاً، فخلق نهجه وطبقه على نفسه غير أبه بما تعرّض له من تعذيب في السجن والمنفى. ومن خلال سيرة نضاله، أكد المطران كبوجي أن حربنا مع «إسرائيل» هي حرب وجود لا حرب حدود، مهما ضاقت أو وسعت، لأنها صراع على الأرض، فهذه الأرض إنما لنا وإنا لهم. فكان المطران ضد التسويات والمساومات وأنّ شكل من أشكال التنازل والمهادنة حتى لا تفقد القضية بعدها الجذري والاستراتيجي وحتى لا يفسح المجال أمام «إسرائيل» حتى تعمل على تفكيك وتفجّنت الحرب، مما يبيقهم في حالة تخلف وتدعية. تمّ تفقد المطران كبوجي في زمن تشهد فيه محاولة وطنية لنضال المسألة الفلسطينية عبر «صفحة القرن» جعل القدس عاصمة لـ«إسرائيل»، ورفض حق العودة وفرض التطبيع على العرب، كما أن بعض العرب بدأ يُجاهر بالتحالف مع «إسرائيل»، مما يؤكّد أن الصهيونية أصبحت ثلاثية الأبعاد/ صهيونية يهودية، صهيونية مسيحية، وصهيونية عربية. ومن الدروس التي يجب أن نأخذها من خلال نضال المطران كبوجي أن القدس والدفاع عنها ضرورة لما لها من رمزية دينية ووطنية، لكن علينا في الوقت نفسه أن لا ننسى فلسطين كل فلسطين، التي يتطلب الدفاع عنها تضامناً عربياً لتفقد هذه الأيام، والتأكيد على أن الدول العربية مرتبطة مصيرياً بالدفاع عن فلسطين. فقد اثبتت الأحداث أننا لا نستطيع استعادة فلسطين من دون نهضة عربية شاملة، وجزرية ومستمرة، وكما لا نستطيع أن نحقق نهضة عربية بالتخلّي عن فلسطين. والذين جرّبوا التطبيع والتسويات على تشيالي كانت من ذلك تسامح بتصدير نوعين فقط من النضال: في المبادرة العربية وما زالت تنتهك المقدسات ويتموّذ فلسطين، ومن جهة أخرى لم يتمكنوا من تحقيق التنمية والنهضة والحركة كل لا يتجزأ. هكذا كان المطران كبوجي، وعلى طريقة نسير من أجل تجديد العروبة، وتجديد مسيرتنا من أجل تحرير فلسطين، وتحرر المواطن في العالم العربي من قيود الاستبداد والتبعية والتخلف والجهل.

مراة الغرب

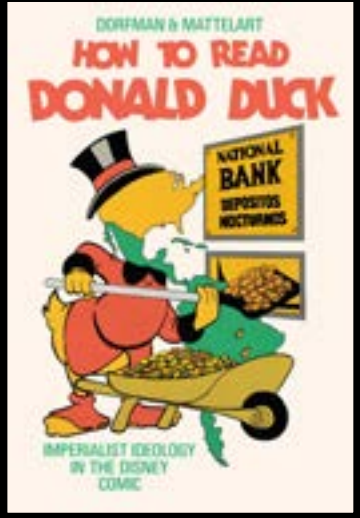
الايديولوجيا الإمبريالية لـ «العم بطوط»

احرقه الكتاب في تشيلي عام 1973 امام كاميرات التلفزيون. وتخص سلاح البحرية من نسخه المتبقية بالقاتل هادي البحر. وصودرت طبعته الإنكليزية من قبل السلطات في الولايات المتحدة. بعد حوالي نصف قرن على صدوره. اعدت دار نشر اميركية بسازرة (O/R) اخيراً نشر كتاب اريك دورفمان وارمان ماتلار الشهير «كيف تفردا دونالد دالك: الايديولوجيا الإمبريالية في كوميكس ديزني» باللغة الإنكليزية في نيويورك مع مقدمة جديدة كتبها دورفمان. الكتاب الذي وصفه جوت بيرغر يوحنا ب «ليلك لتفكيك الكولونيالية، يعتبر قراءة أساسية لكل من يحاول ان يفهم كيف تؤيد الاظمة الحاكمة اوضاعا قائمة لمصلحة القلة. وقد صار هذا العمل رمزاً لتجربة الرئيس سيلفادور الليندي الاشتراكية في تشيلي بين 1970 و 1973. ففي موازاة الحرب الاقتصادية لتأميم مصالح البلاد الاستراتيجية من ايدي الشركات الاميركية. شت أيضاً حرب تحرر ثقافية شاملة. المهتمها افكار غرامشي لـمواجهة الهيمنة النافذة للإمبراطورية على شعوب اميركا اللاتينية



منتجات «ديزني»، تزعم فيما رسائلية ونزوحاً إلى اليمين ومعاداة عميقة للتحز

المتحدة نفسها أو عبر العالم. حتى قيل إنّ والت ديزني يفوق باهميته الإمبراطورية أسطول البحرية الأميركية البحار. «دونالد دالك» (بطوط) هو احد هذه المنتجات فقيم «العم بطوط» في وفق الكتابة عن أميركا الشمالية) برفقة ثلاثة اولاد عم يعيشون معه بينما يهيمن على العائلة «العم سكروج» (أو «دهب») فالشخصيات ثابتة في قوالب لا تتغير مطلقاً. حتى عندما تظهر في ادوار تاريخية أو تسافر عبر البحار، فإنها تحتفظ بذات الأبعاد، وتبقى صلبة له بعلاقات الهيمنة الحقيقية (ليس فيها أي وضوح لطبيعة النظام الاستهلاكية دائماً بسبب كسله وسوء تقديره. وهكذا، فإن النجاح والفشل في مدينة البوط أمر فردي محض لا صلة له بعلاقات الهيمنة الحقيقية في المجتمع. ولا وجود في المدينة لآباء أو أمهات أو أخوة أو أخوات، بل هي بوتوييا بياض خارج الزمن دهب» بأنهما بعبارة باعة متحولين قطع خدمات استهلاكية) يحكمها الأعمام (الذكور) اللطفاء. الجنس اللطيف في القصة شخصيات فارغة تعتنق بشكلها فقط. وتلعب أدواراً جنديرية مهستيرية تعود إلى العصر الفيكتوري. وعندما يسافر الأعمام عبر البحار، فهم يجمعون الاموال والت نفائس بلا جهد يذكر. لكن الأطلر هو تلك الصور النمطية الاستشراقية المشاهير في العالم الرساملي - يُقدّم وفق السردية الأميركية بأنه «العم دالك» علاقات اجتماعية سلمية. لكن الأهم أنه كان تاجراً راسماً لشديد الشجع يسرق عبقرية موظفيه الفقراء مقابل مخرقة من مستودع مهجور بالقرب فقات. وطالما مثلت منتجات شركته أسلحة ايديولوجية ماضية في الترويج لتقدم تريد الفئة المهيمنة تبريرها لصغار السنّ في وقت مبكر من حياتهم، سواء داخل الولايات



النوار اليساريين لردف المواجهة مع الانقلابين من الخارج. وقتها التقيا ناشراً وترجموا نقلاً الكتاب إلى الإنكليزية في لندن، لكن الـ 4000 نسخة التي حاقق لا شحتها إلى سوق الولايات المتحدة عرفت في مستودعات سلطات الرقابة هناك، فيما قيلت الاخرة طلباً عاجلاً من جيش محامي السيد والت ديزني لمنع توزيع الكتاب، بحجة أن محتوياته ائتداء على الملكية الفكرية. ورغم أن القضاء اصدر حكماً لاحقاً بالسماح بتوزيع نسخ الكتاب،

الهيمنة الذكورية البيضاء ومركزية المال اساس كل حكاية جديدة

إلا ان ما بقي منها صالحاً للبيع فعلاً لم يزد عن 1500 نسخة. وتمتّن والت ديزني من شراء معظمها وإتلافه. والت ديزني الشخص وراء إمبراطورية «ديزني» الإعلامية - وكما معظم المشاهير في العالم الرساملي - يُقدّم وفق السردية الأميركية بأنه «العم دالك» علاقات اجتماعية سلمية. لكن الأهم أنه كان تاجراً راسماً لشديد الشجع يسرق عبقرية موظفيه الفقراء مقابل مخرقة من مستودع مهجور بالقرب فقات. وطالما مثلت منتجات شركته أسلحة ايديولوجية ماضية في الترويج لتقدم تريد الفئة المهيمنة تبريرها لصغار السنّ في وقت مبكر من حياتهم، سواء داخل الولايات

عام 1971 في تشيلي. لم يدرك كثيرون في تشيلي (وأغلب دول العالم الثالث) ان الراءة والإيجابية وروح المرح التي تحملها منتجات «ديزني» لأطفالهم كانت تزعم بخبث قيماً راسمالية بغيضة ونزوحاً إلى اليمين ومعاداة عميقة للتحز بوضفه ضد نظام السبعينات لتحرير بلاده تشيلي من هيمنة الإمبراطورية الأميركية عن تأسيس تجربة وطنية اشتراكية عن طريق الانتخابات والوسائل السلمية. كانت الجبهة الشعبية بقيادة ردينا قد وجدت أن تأميم شركات النحاس والمعادن التي كانت تسيطر على أهم موارد البلاد ويمتلكها الراسمال الأميركي أمراً هامناً مقارنة بالتخيرات المطلوبة في العقول والموظفم القيم الأساسية التي توجه سلوك المجتمع وتدفعه باتجاهات رجعية معادية للعدالة الاجتماعية والتحرر. ولذا، توافق متفوق الجبهة المثاثرون بأفكار الشيوعي الإيطالي أنطونيو غرامشي، على أن إسقاط النظام البرجوازي القديم في تشيلي والمتحالف بنويبا وموضوعياً مع الإمبريالية الأميركية ليس كافياً من دون تفكيك الأدوات الفكرية والثقافية التي مَحَنَت ذلك النظام من تآديد سيطرته على السلطة. ومن ثم إطلاق مواجهة ثقافية شاملة لبناء تشيلي جديدة حرّة واشتراكية ونبيلة. دورفمان وماتلار أكاديميان في علم الاجتماع، هالهما أن الإمبراطورية الأميركية التي فرضت حصاراً اقتصادياً خانقاً على تشيلي كانت من ذلك تسامح بتصدير نوعين فقط من النضال: في المبادرة العربية وما زالت تنتهك المقدسات ويتموّذ فلسطين، ومن جهة أخرى لم يتمكنوا من تحقيق التنمية والنهضة والحركة كل لا يتجزأ. هكذا كان المطران كبوجي، وعلى طريقة نسير من أجل تجديد العروبة، وتجديد مسيرتنا من أجل تحرير فلسطين، وتحرر المواطن في العالم العربي من قيود الاستبداد والتبعية والتخلف والجهل.

* كاتب وناشر لبناني